

وبعد انتهاء المعركة التي خلفت الخراب والقتلى، بدأ مشوار الأهالي في التعرف على مصير أبنائهم سواء كانوا جثثاً أم أسرى أم مصابين أم مشردين، كما بدأ المشردون رحلة البحث عن مأوى لهم بين خيم الصليب الأحمر وبيوت الجيران.

تلاحم المقاومة

معركة مخيم جنين كانت بمثابة أسطورة، حيث توحدت كافة القوى الفلسطينية وشاركت في الدفاع عن المخيم في صف واحد وسلاح واحد أمام عدو لا يفرق بين فصيل وآخر. وبشموخ وتحد واعتزاز يتحدث أهالي الحي الشرقي في مخيم جنين عن البسالة المنقطعة النظير التي أبداهها رجال المقاومة في مواجهه جنود الاحتلال.

مأساة تشريد ثانية

وبعد انتهاء معركة المخيم وجد الأهالي واللاجئون من سكانه أنفسهم أمام مأساة تشريد ثانية، حيث عادت الخيام لتتنصب في أطراف مخيمهم وعلى أنقاض منازلهم في صورة تعيد لهم صورة التهجير الأولى عام ١٩٤٨.

لكن الأهالي مع ذلك يصرون على الصمود والبقاء والتمسك بحقهم الذي حاول الاحتلال استلابه. ويقول السكان إنهم شردوا من منازلهم وسمعوا كثيراً من الأصوات التي وعدت بمساعدتهم وإعادة إعمار مخيمهم لكن دون أن يتحقق من ذلك شيء حتى الآن.

وفور انسحاب قوات الاحتلال من المخيم بدأت المنظمات الخيرية تتوافد إليه، وكان من أبرز هذه المساهمات تبني جمعية أصدقاء الإمارات إقامة مساكن لدوي البيوت المهدمة، كما قدم العراق قبل سقوطه بيد الاحتلال مساعدات لجميع الأسر المتضررة، وتبني تعويض ذوي البيوت المدمرة.

وقال ناجح بكيرات، رئيس جمعية أصدقاء الإمارات إن «مشروع إعادة إعمار مخيم جنين يعتبر من أهم المشاريع الاستراتيجية للجمعية، وتبلغ تكلفته نحو ٢٨ مليون دولار، ويهدف إلى إغاثة المنكوبين من خلال ٤٠٠ وحدة سكنية، تم تنفيذها عن طريق الأونروا، ويتوقع أن يتم الانتهاء من هذا المشروع خلال شهر أيلول/سبتمبر من العام الحالي».

وبالإضافة لهذا المشروع قال بكيرات إن الجمعية تتولى أيضاً استئجار مائة شقة منذ المجزرة لإسكان العائلات التي دمرت منازلها. موضحاً أن هناك «مشاريع متنوعة وعديدة للجمعية، لكن مشروعها الاستراتيجي الكبير هو إعادة إعمار مخيم جنين».

وإذا كانت بعض الجهات قدمت مساعدات للمخيم، فإن هناك كثيراً من المشاكل تنتظر حلولاً. ومن هذه المشاكل: انقطاع الماء والكهرباء بشكل شبه دائم، عدم وجود مقبرة لدفن الموتى، وارتفاع نسبة البطالة وقلة فرص العمل....

إصرار على المقاومة

من جهته أكد زكريا الزبيدي قائد «كتائب شهداء الأقصى» في مخيم جنين أن قوات الاحتلال تواصل استهدافها للمخيم وابتغائها للكوادر الفلسطينية وإقامة الجدار الفاصل والحواجز في محاولة منها لمنع العمليات، لكن المقاومة تستطيع التغلب على كل الاحتياطات الاحتلالية وتجاوزها.

وقال: الاعتداءات والإجراءات الإسرائيلية لن تنال من عزيمة الشعب وإصراره على نيل حقوقه كاملة غير منقوصة، مؤكداً أن كتائب الأقصى ستواصل مقاومتها ضد جنود الاحتلال والمستوطنين أينما وجدوا رغم كل الحملات ضدها. وأضاف أن المقاومة الفلسطينية وإن تقلصت عملياتها داخل الخط الأخضر فإنها قادرة على استهداف الجنود والمستوطنين في مدن وقرى الضفة الغربية. مشيراً إلى أن «المقاومة في مخيم جنين أثبتت للعالم أنها قادرة على تطوير نفسها وأدواتها، كما أثبتت أن الشعب الفلسطيني موحد أمام العدو».

عامان على المجزرة

وبالعودة لما قبل عامين فإن المقاومة التي أبداهها مخيم جنين كانت كبيرة وأكبر مما توقعه جنود الاحتلال، الذين وضعوا أنفسهم في مستنقع الموت حيث كان المقاتلون على أهبة الاستعداد ووزعوا المهام فيما بينهم، ومع شروق الشمس بدأت الاشتباكات بين المقاومين وقوات الاحتلال، حيث شهد اليوم الأول من معركة جنين معارك ضارية وتمكنت المقاومة الفلسطينية من إلحاق خسائر بأرواح ومعدات قوات الاحتلال، التي لم تعترف بالحجم الحقيقي لخسائرها.

وتعرض المخيم طوال أيام المعركة لقصف عنيف بالطائرات والمدفعية وهدمت المنازل فوق ساكنيها على مدار الساعة في محاولة منها للتقدم، إلا أنها فشلت في تحقيق مرادها، ثم بدأ الهجوم يشتد وبدأت قوات الاحتلال تفقد وعيها حيث ضاعفت قمعها وعمليات الهدم والتدمير في المخيم.

كمين الموت

ومن أبرز إنجازات المقاومة عدا الصمود قدرتها على قتل ١٣ جندياً في عملية واحدة أطلق عليها جيش الاحتلال اسم «الكمين الدامي»، حيث أرسلت قوات الاحتلال وحدة اقتحام خاصة تدعى «إيجوز»، كانت مهمتها القضاء على المقاومة عن طريق القنص والاختيالي في ساحة المعركة، فما كان من المقاومة إلا أن قضت على كثير منهم وأصاب عدداً آخر.

وحسب شهود عيان فإن نحو ٤٠ جندياً من الوحدات الخاصة دخلوا في ذلك اليوم أحد الأزقة في حارة «أبو السباع»، وتقدموا ببطء شديد في وقت كانت فيه مجموعة من المقاومين ترصد حركتهم وتكمن لهم حتى أصبحوا تحت مرمى نيران المقاومة في ثلاثة محاور.

ونجح المقاومون في عزل ٢٢ من هؤلاء الجنود عن بقية المجموعة فيما لجأ عدد آخر من الجنود إلى منزل مجاور كانت مجموعة من المقاتلين تنتظرهم بداخله ومن حوله، وفتحو عليهم النار، ورموهم بالقنابل المصنعة محلياً. وكانت حصيلة ذلك الكمين مقتل ١٣ جندياً على الفور وإصابة سبعة توفى أحدهم بعد عدة أيام، وهو ما شكل كما يقول محللون عسكريون إسرائيليون، وصمة عار في جبين «الجيش الذي لا يقهر».

خطة جديدة

هذه الهزيمة دفعت قادة جيش الاحتلال إلى تغيير خطتهم في اقتحام مخيم جنين، وذلك في أعقاب جلسة وزارية خاصة بالموضوع، فتولى شاؤول موفاز رئيس هيئة الأركان آنذاك، وبنيامين بين أليعازر وزير الدفاع الصهيوني إدارة المعركة جواً وأرضاً، حيث تم استدعاء جرافات عسكرية ضخمة من طراز (٩) قامت بمهمة التدمير وفتح الطرق للآليات العسكرية على أنقاض البيوت وجثث الفلسطينيين. وبعد ١٣ يوماً من بدء غزو مخيم جنين خرجت قوات الاحتلال من داخل المخيم وانتشرت في أطرافه، ليبدأ وصول وسائل الإعلام التي منعت من الوصول طوال أيام الحصار، لتبدأ بالتالي توثيق الجرائم والكوارث التي أحدثتها آليات الاحتلال في المخيم.